الأستاذ عبد الحميد حاجيات ومنهجه في التحقيق والتأريخ

د. نصر الدين بن داود*.

القسم الأول: التعريف به:[1]

1-مولده ونشأته: عبد الحميد حاجيات من الشخصيات البارزة التي فرضت وجودها بأعمالها المتميزة في مجال البحث العلمي، فهو من مواليد 20 أكتوبر 1929 بمدينة بني زيان تلمسان، نشأ في أسرة متواضعة محافظة كانت تعرف في الأوساط التلمسانية باسم بن حاجي، إلا أن الإدارة الفرنسية غيرت هذا اللقب إلى حاجيات، وقد هاجرت عائلته من قبل إلى تركيا سنة 1910م، وعادت بعد ثلاث سنوات إلى موطنها الأصلي، وأما طريقة عيشها فكانت تعتمد كلية على النشاط الزراعي وتربية الماشية حيث كان يصعب عليها توفير جميع متطلبات الحياة الكريمة، وكانت تتكون من مجموعة كبيرة من الأفراد، ورغم ذلك واجهت هذه الحياة القاسية في العهد الاستعماري حتى الاستقلال، بعده أخذت مكانة محترمة في المنطقة ولها كل الشرف أنها أنجبت المؤرخ عبد الحميد.

2-مساره الدراسي: مثلما ذكرنا سابقا بأن وضعية المجتمع الجزائري كانت قاسية في الفترة الاستعمارية، فليس من السهل الالتحاق بالدراسة، إلا أن رغبته الكبيرة في كسب المعرفة جعلته يلتحق بالكتاتيب في سن الثالثة أين حفظ القرآن الكريم على يد شيوخ المنطقة المعروفين في تلك الفترة، وبعد ثلاث سنوات التحق بالمدرسة الابتدائية التي لم يكن من السهل مزاولة الدراسة بها نظرا للضغط والسيطرة التي كان يتلقاها الأطفال من قبل السلطات الفرنسية، ورغم ذلك استمر في طلب العلم والمعرفة، فالتقى بالعلامة البشير الإبراهيمي وتتلمذ على يده وعلى يد شيوخ جمعية العلماء المسلمين الذين كان لهم الدور البارز في توعية وإرشاد الجزائريين.

*- أستاذ محاضر ب في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان.

كما توّج نشاطه العلمي الكبير بالانضمام إلى اتحاد الطلبة الجزائريين الذي كان له دورا كبيرا في الثورة التحريرية الكبرى، وبخاصة في الفترة الممتدة بين سنتي 1956م و1958م، حيث دافعوا عن القضية الوطنية بالعلم والمعرفة، وبعد استرجاع الجزائر سيادتها التحق بعالم الشغل؛ فتوجه إلى الدار البيضاء بالمغرب الأقصى، وعمل بجامعتها لكنها كانت تجربة قصيرة، وبعدها عاد إلى أرض الوطن، واشتغل في الديوان الرئاسي كمستشار لأول رئيس للجزائر المستقلة أحمد بن بلة لوقت قصير، حينذاك أدرك عبد الحميد حاجيات أن هدفه في هذه الحياة علمي وليس سياسيا، ومن هنا كانت انطلاقته الحافلة لتطوير قدراته وتحقيق مشاريعه في البحث العلمي.

3–مؤهلاته العلمية:

– دبلوم معهد الدراسات العليا الإسلامية ،كلية الآداب جامعة الجزائر يونيو 1950م.

– ليسانس آداب عربية ،كلية الآداب الجزائر– ليون (فرنسا)، 1950–1954م.

– دبلوم الدراسات العليا،كلية الآداب، جامعة بوردو (فرنسا)، 1959م.

– التبريز في الآداب العربية،كلية الآداب السور بون باريس (فرنسا) 1960

– دكتوراه الحلقة الثالثة في الحضارة الإسلامية، كلية الآداب– إيكس أن بروفانس (فرنسا)، 1974م.

– دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي موسومة بـ:تاريخ المغرب الأوسط في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، إيكس أن بروفانس (فرنسا)، 1991م.

4–وظائفه الجامعية:

– أستاذ مساعد بمعهد التاريخ– جامعة الجزائر– 1975/1966م.

– أستاذ مكلف بالدروس بمعهد التاريخ– جامعة الجزائر– 1975–1986م.

– أستاذ مكلف بالدروس بمعهد الثقافة الشعبية– جامعة تلمسان 1986–1992م.

– أستاذ محاضر بمعهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 1992–1997م.

– أستاذ التعليم العالي بقسم الثقافة الشعبية– جامعة تلمسان– 2010/1997م.

– أستاذ التعليم العالي بقسم التاريخ ،جامعة تلمسان منذ سنة 2010م.

5–نشاطاته العلمية:

– مؤلفاته:

– باللغة العربية :

1– أبوحمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع– الجزائر– ط1– 1975، ط2–1982م، 398ص، يتضمّن هذا الكتاب عرضا مفصلا حول حياة أبي حمو موسى الثاني منذ مولده إلى وفاته مع التركيز على دوره السياسي والثقافي أثناء حكمه لمدة ثلاثين سنة (760–791هـ/1359–1389م)، وعلى إنتاجه الأدبي مع نصوص مختارة من كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، ومن شعره .

2– الجزائر في التاريخ، ج3: العهد الإسلامي بالمشاركة مع مجموعة من الأساتذة الباحثين، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر–1984م، 605ص، وقد تناول الأستاذ حاجيات فيه الأقسام التالية: الجزائر في عهد المرابطين والموحدين: تطور سياسي وحضاري– إحياء الدولة الزيانية– استمرار النفوذ المريني– الحياة الفكرية بالجزائر على عهد بني زيان– خطر النصارى وانهيار الدولة الزيانية.

3– عبد الله بن المقفع: حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر– 1990م، 108ص، يعتبر ابن المقفع (106–142هـ/724–760م) من مشاهير أدباء عصره، وقد تناول المؤلف التطورات العامة لعصره ثم حياة وشخصية ابن المقفع، ثم تطرق إلى آثاره وهي: رسالة الصحابة، الأدب الصغير، الأدب الكبير، كليلة ودمنة، وتطرّق إلى منتجات من هذه الآثار، وأهمها كتاب "كليلة ودمنة" الذي تناول فيه الحكم علي لسان الحيوانات، وبهذا يرجع إليه الفضل في ظهور المخيال القصصي في الأدب العربي، ويعتبر ابن المقفع رائدا للحكاية الرمزية الأخلاقية، وقد ترجم الكتاب إلى لغات عديدة، واشتهر في سائر الأقطار فأصبح يعد من بين روائع الأدب العالمي.

4– كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، أنجز بمشاركة معروف بلحاج ومبخوت بودواية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، 295ص، يتناول هذا التأليف دراسة تاريخ الجزائر الوسيط بما أمكن من الوضوح والنزاهة في إطار إعادة كتابة تاريخ الجزائر من الفتح الإسلامي إلى انهيار الدولة الزيانية.

– باللغة الفرنسية:

5 - Le Maghreb central sous le règne du sultan ziyànide Abou H'ammou mousà ll–760-791h/1359-1389, edition errached sidi belabes Algérie 2009,609 pages.

يعالج فيه التطور السياسي والحضاري للمغرب الأوسط في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني (760–791هـ/1359–1389م) بداية بتمهيد جغرافي للمغرب الأوسط– الخصائص الطبيعية والبشرية– الفصل الأول: تناول فيه نشأة الدولة الزيانية، والصراعات التي كانت بين العبدواديين والمرينيين، من الفصل الثاني إلى الفصل الثامن: إحياء الدولة الزيانية على عهد أبي حمو موسى الثاني وبعثها من جديد، ثم يتابع التطورات السياسية والعسكرية والحضارية للدولة الزيانية إلى غاية وفاته، الفصل التاسع: العلاقات الدبلوماسية، الفصل العاشر: التنظيمات السياسية والإدارية مع مجموعة من الملاحق: نصوص من مراسلات أبي حمو موسى الثاني بالعربية وترجمتها إلى الفرنسية، وجداول سلاطين بني عبد الواد والمرينين والحفصيين، وأخيرا شجرات النسب للقبائل البربرية والعربية.

ب التحقيق:

6– الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1975– ط2، 1986م، 427ص، هذا الكتاب عبارة عن مجموعة شعرية تم جمعها بأمر من حاكم تلمسان بروصلار **brosselard** عام 1871م، وكتبها محمد لمرابط، ومن هذه الأشعار قصائد الشيخ أبي مدين شعيب وأحمد الحلبي والداودي الفهرى، وقصائد لشاعرمجهول، وقصائد ابن مسايب وأحمد بن تريكي وابن سهلة. وكانت هذه الأشعار تغّنى حسب طبوع الأنواع الموسيقية المألوفة من مدائح وموشّحات وأزجال وحوازى.

7– أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر الصنهاجي الملقب بالبيدق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1–1975،ط2، 1986م، كان مؤلف هذا الكتاب أحد رفقاء المهدي بن تومرت حين عودته من المشرق إلى بلاده بالمغرب الأقصى، فهو معاصر للأحداث التي ذكرها وشاهد عيان في أغلبها، إذ تتبع الحركة المهدية والدعوة إلى قيام نظام سياسي جديد، ثم بيعة عبد المؤمن بن على وتطور الدولة وتوسعاتها، ثم القبائل التي ثارت على الموحدين.

8– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون، الجزء الأول، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، 332ص، وطبع سنة 2007م في اطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يتناول هذا الجزء تاريخ المغرب الأوسط أيام الدولة الزيانية من مؤسسها يغمراسن بن

زيان إلى ما قبل أبي حمو موسى الثاني؛ فيعرّف بقبيل عبد الواد ومحل اعتمارها، ثم وصف تلمسان وأقادير وتقرارت، ثم يتطرق إلى علماء وصلحاء تلمسان، ثم يعود إلى تاريخ تلمسان من الفتح إلى عهد الموحدين، ثم يعرّف ثانية بقبيل عبد الواد إلى قيام دولة يغمراسن 633هـ/1235م، وتطورها إلى غاية نهاية عهد السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت 760هـ1359م.

9– تاريخ دولة الأدارسة، من كتاب نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، 107ص، وقد حقق فيه الفصل الخاص بالأدارسة بالمغرب الأقصى، وأبناء عمومتهم الحموديين بالأندلس والسليمانّيين بالمغرب الأوسط، وتمتد الفترة التي يغطيها هذا التأليف من أواخر القرن الثاني الهجري إلي أواسط القرن الخامس، وهي فترة لا تخلو من غموض، ولا تزال تثير كثيرا من التساؤلات، غير أن عرض التنسي هذا يمتاز بالاختصار والدّقة ورشاقة الأسلوب.

– الترجمة من الفرنسية:

10– المهدي بن تومرت: تأليف رشيد بورويبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، 172ص، ترجمه من الفرنسية الي العربية، لقد اعتمد مؤلف هذا الكتاب على العديد من المصادر والمراجع، وبذل مجهودا ملحوظا لتقديم دراسة تمتاز بالدقة والوضوح والنّزاهة، وقد تتبع حياة المهدي بن تومرت من مولده سنة 468هـ/1075م إلى رحلته إلى المشرق، وبعدها من عودته إلى بيعته ووفاته سنة 524هـ/1130م، ثم يتطرق إلى تنظيم جماعة الموحدين وشخصية المهدي بن تومرت ومذهب الموحدين.

ج– تحت الطبع: في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م:

11– تلمسان في أعمال الأستاذ حاجيات: دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي ،ج1 وج2، طبعة عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، وهي تتضمن عشرين مقالة تتعلق بالحياة السياسية والحضارية، وخصوصا الحياة العلمية والفكرية لحاضرة تلمسان وحواضر وأعلام المغرب الإسلامي.

12– سلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبي عبد الله محمد ابن ظفر الصقلي المتوفى سنة 565هـ/1170م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011م، حقق هذا الكتاب الذي يعد من أهم ما ألّف في أخلاق الملوك والصفات التي ينبغي التحلي بها قصد ضمان ثقة

الأتباع، وهي:1- سلوانة التفويض، 2- سلوانة التأسي، 3- سلوانة الصبر، 4- سلوانة الرضا، 5- سلوانة الزهد في الملك، وقد استخدم مؤلفه الرمزية من خلال الحيوانات.

13- دولة بني عبد الواد من كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون، تتبع فيه تطور الدولة الزيانية في نحو 200 صفحة من قيام الدولة وقبائلها وتطوراتها السياسية والحضارية إلى غاية عصر المؤلف الذي توفي سنة 808هـ/1405م.

14- أبو مدين شعيب الأشبيلي حياته وآثاره: تتبع فيه حياة شيخ العارفين وقطب الصالحين، وكتب عن عصره ونشأته ثم سيرته ومناقبه وآثاره وإنتاجه.

15- تحقيق كتاب للشيخ أبي مدين شعيب: أنس الوحيد ونزهة المريد، وهو كتاب في التصوف يتناول جانب العقيدة والزهد وحكم وقصائد متنوعة.

16- زهر البستان لمؤلف مجهول، حقق هذا الكتاب وهو خاص بالسفر الثاني أما الأول والثالث فهما في عداد المفقودين، تطرق المؤلف في هذا الكتاب إلى تطور الدولة الزيانية خلال خمس سنوات في عهد أبي حمو موسى الثاني، ويبدو أنه كان من موظفي ديوان السلطان حيث يتابع التطورات الداخلية للحكم والعلاقات الخارجية للدولة، وهو يولي اهتماما كبيرا للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وقد ألحق قصائد لشعراء هذا العصر، منها شعر المولديات وبعض القصائد ذكرها يحيى بن خلدون وأخرى لم يذكرها.

والأستاذ عبد الحميد حاجيات لم ينقطع عن البحث إلى غاية هذه الساعة، فهو لازال يشتغل الآن على مخطوطات أخرى لعلماء تلمسان كالحسبة للعقباني، والنجم الثاقب لابن صعد، ويعكف أيضا على تحقيق جديد لكتاب المسند الصحيح لابن مرزوق الخطيب، نسال الله تعالى أن يطيل في عمره، ويبارك فيه لإتمام هذه الأعمال.

د- منهجه في مقدمة التحقيق:

1- تقديم المؤلف والكتاب.

2- التعريف بالكاتب: من نشأته وتكوينه ونشاطه.

3- تقديم الكتاب: العنوان الكامل، تاريخ ودوافع التأليف، مضمون الكتاب ومصادره.

4- منهج المؤلف في الكتابة والأسلوب ثم القيمة العلمية للكتاب.

ثانيا :منهجه في التحقيق:

1- تصنيف النسخ: يجتهد الأستاذ في البحث عن النسخ المتوفرة ما أمكن، وبعدها يصنف هذه النسخ إلى:

أ- النسخة الأساسية: وهي التي تكون غير مصابة بنقص ملحوظ، وهي أكمل النسخ وأقربها إلى نسخة المؤلف التي هي النسخة الأم.

ب- النسخ الثانوية: وهي التي عادة ما يكون بها ثغرات ونقص كبير، وبالتالي فهي لا تنتمي للنسخة الأم، ويرمز لكل نسخة بحرف.

2- تحقيق النص: ويكون بمقابلة النسخة الأساسية مع النسخ الأخرى لرصد أوجه الاختلاف بينها نقصا وزيادة، تقديما وتأخيرا، والزيادات التي لا فائدة منها لا تضاف، ولكن عندما يتطلبها السياق تضاف إلى النسخة الأساسية، ويجعلها بين معقوفتين، ويشير إليها في الهامش.

3- الهوامش: وهي على نوعين:

أ- هوامش تحقيق النص: لذكر الاختلافات بين النسخ التي لا تكون من باب الأغلاط الكتابية أو النحوية أو اللغوية مع استخدام الرموز للدلالة على الزيادة + أو النقص-، المعقوفتان[...] للدلالة على النقص الواقع في النسخة الأساسية، النجمتان: *...* للدلالة على الجمل أو الفقرات الناقصة في النسخ الأخرى، واستثناء يختار العبارات والمفردات المناسبة للأسلوب والمعنى كلما اقتضى الأمر ذلك.

ب- هوامش الشروح: وهي خاصة بالأعلام والأماكن والكتب الواردة في النص، وكل ما يتطلب مزيدا من الإيضاح والتدقيق.

كما يحاول المحقق الأستاذ حاجيات مقابلة النص المحقق بالمصادر التي تناولت الموضوع لتأييد وتأكيد الخبر أو الاختلاف معه، وذلك بالرجوع إلى مصادر المخطوط أولا لتصحيح الأخطاء الواردة، ثم العودة إلى المصادر الأخرى، وفي الأخير يرجح الأصح منها.

4- الملاحق: ومنها صور لصفحات من المخطوط، خرائط توضيحية، وفهرس الأعلام وفهرس القبائل والأجناس وفهرس الأماكن وفهرس أسماء الكتب الواردة في النص المحقق، ثم قائمة المصادر والمراجع المستعملة في الدراسة والتحقيق، وأخيرا فهرس الموضوعات.

يهدف الأستاذ عبد الحميد حاجيات من عملية التحقيق إلى محاولة إخراج النصوص على الشكل الذي كان يسعى إليه المؤلف، فيكون النص محققا متكاملا وصحيحا كما أراده

المؤلف ومنقحا ومستقيم التعبير، وهذا العمل هو واجب علمي من باب المساهمة في كتابة تاريخ المغرب عامة وتاريخ الجزائر خاصة.

هـ– المقالات: نشر المؤرخ حاجيات ثلاثة وثلاثين (33) مقالا دوليا ووطنيا مواضيعها في الأدب والتاريخ السياسي والحضاري، وخصوصا الثقافي والفكري، ومنها الكتابة عن التراجم والسير والمناقب ومنها:

– عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، الأصالة، العدد، 1978م.

– الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مجلة التاريخ، الجزائر، عدد خاص، 1983م.

– حول شخصية عقبة بن نافع الفهري، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع1، 1986م.

إضافة إلى تراجم أخرى لشخصيات علمية منها عبد الرحمن بن خلدون، ابن المقفع، سيدي محمد بن عمر الهواري، عبد الرحمن الثعالبي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصطفى بن براهيم.

و– المحاضرات: مداخلات علمية في ملتقيات دولية ووطنية وصلت إلى تسعة عشر(19) محاضرة منها:

– شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي الملتقى الوطني حول التعليم والعلماء في عصر الأمير عبد القادر، جامعة سيدي بلعباس،2001م.

ن– مشاريع البحث العلمي: لعبد الحميد حاجيات عدة مشاريع في البحث العلمي نتيجة اختلاف مجالات بحثه كتاريخ المغرب الإسلامي السياسي والحضاري، وتحقيق المخطوطات والترجمة والثقافة الشعبية مع العلم أنه يتقن اللغة العربية واللغة الفرنسية بمستوى جيد واللغة الانجليزية بمستوى متوسط.

وأهم هذه المشاريع الحياة الثقافية بالجزائر في القرن 8هـ/14م أنجز سنة 1996، نصوص أمازيغية للغرب الجزائري دراسة اجتماعية ثقافية وترجمتها إلى العربية والفرنسية، أنجز سنة 2001، تطور التيار الصوفي بالجزائر في العصر الوسيط، أنجز سنة .2006

6– تكوين ما بعد التدرج:

1–الإشراف على رسائل الدكتوراه: أشرف الأستاذ المؤرخ عبد الحميد حاجيات على خمسة عشر (15) دكتوراه مجال بحثها التاريخ وعلم الآثار والفنون والثقافة الشعبية منها:

– المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية: دراسة أثرية معمارية وفنية للباحث عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م.

– العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب للباحث معروف بلحاج، قسم الآثار، جامعة تلمسان، 2002م.

– :الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان للباحث لخضر عبدلي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2004م.

– العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان للباحث مبخوت بودواية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005م.

الإشراف على رسائل الماجيستر: أشرف الأستاذ على خمسة وأربعين (45) رسالة مجال بحثها التاريخ والآثار والفنون والثقافة الشعبية منها:

– الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين للطالب محمد الأمين بلغيث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م.

– القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية للطالبة نبيلة حساني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999م.

– علماء أسرة المرازقة ودورها الثقافي بتلمسان من ق 7هـ/13م إلى ق 10هـ/16م للطالب نصر الدين بن داود، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م.

– العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال ق 9هـ/15م للطالب محمد بوشقيف، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م.

خلاصة: إن مجالات بحث الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات واهتماماته متنوعة من التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الإسلامي إلى تحقيق المخطوطات والفنون الشعبية المغاربية والأدب الشعبي والترجمة، كما ساهم في إثراء مكتبة التاريخ والحضارة بنحو خمسة عشر كتاب (15) فضلا عن المقالات والمحاضرات الوطنية والدولية، كما أشرف على التكوين في ما بعد التدرج في عدة جامعات جزائرية (الجزائر– تلمسان– وهران– سيدي بلعباس) فضلا عن المناقشات العلمية في عدة جامعات من الجزائر.

القسم الثاني: نماذج من ترجمته لبعض الأعلام:

– حول شخصية عقبة بن نافع[2]: عالج الدكتور هذا الموضوع ليس من باب الكتابة عن هذه الشخصية تعريفا بها وبأعمالها، وإنما أراد أن يدرس ما جاءت به المصادر[3] ليقف على ما تقدمه من صورتين متباينتين:

الصورة الأولى: الإيمان القوي وجهاده ضد الكفر والشرك لنشر الإسلام.

الصورة الثانية: الفتك بأهل المغرب والسبي والمعاملة القاسية وجنوحه إلى العنف والشدة، فكيف تستقيم معادلة عقبة أو ما هو التصور الآخر وتفسير الأستاذ حاجيات له ؟

الصورة الأولى: الكثير من الرواة وضعوا الأخبار قصد التمجيد، ونقل عنهم المؤرخون ومنهم ابن عبد الحكم وابن عذاري.

ميل الناس إلى الأخبار العجيبة وغير المألوفة بأسلوب القصاص (التنبؤات، الخوارق، الكرامات)؛ فظهرت صورة عقبة ضمن العلماء المقربين.

الصورة الثانية: فتح عقبة لبرقة سنة 46هـ برواية ابن عبد الحكم وجدعه لأذُن ملكهم ثم القسوة والشدة مع ملك جربة وقطع أصبعه، ويقول: إنه فعل هذا تأديبا للملك.

إذن فالخبر هذا لم يوضع لغرض التأريخ، وإنما وضع لتسلية المستمع والترفيه عنه وإثارة العجب؛ فهي قصص اخترعها القصاص وأدرجها الرواة في أخبارهم لملء فراغ المعطيات التاريخية الموثوق بصحتها.

وعليه يقول الأستاذ حاجيات: "التحفظ في معالجة المصادر القديمة أمر ضروري إذا أردنا أن نصل إلى تصور سليم ومقبول لشخصية عقبة وغيره من الأبطال، وضرورة استبعاد كل ما هو من باب العجائب والخوارق، وما يعتقد فيه غلوا ومبالغة سواء في المدح أو الذم، ثم يؤكد على حقيقة الفتح في هدفه الأسمى، لنشر الإسلام بين الأهالي وتطبيق مبادئه الداعية إلى العدل والمساواة واحترام الأديان، ولا نشك في عقبة وغيره من قادة الفتح أنهم كانوا كذلك وإلا كيف تفسر الإقبال الكبير على الإسلام والاندماج في حياته والمساهمة في الفتح كما كان مع طارق بن زياد في الأندلس، فلا يعقل أن يأخذ بما اعتاد المؤرخون ذكره من إبادة الأهالي والإكثار من السبي والغنائم.

أما عن موقف عقبة من أبي المهاجر وكسيلة الأوربي فالبعض يرى ذلك مظهرا من مظاهر العنف والقسوة والحقد، ولتفسير ذلك يقول الأستاذ حاجيات: "ينبغي التساؤل عن البيئة السياسة للخلافة الأموية، والصراع بين اليمنية والمضرية، وكذلك بين العرب والموالي من

الفرس والبربر وغيرهم، ولا غرابة أن ينتقم عقبة من أبي المهاجر لما أصابه من هوان ومذلة ناهيك عن الحرص على العودة لقيادة الجيش إتماما للفتح الإسلامي ببلاد المغرب".

أما عن كسيلة وموقف عقبة منه فحديث مضطرب؛ فكسيلة شخص مبهم يُذكر باسم ابن الكاهنة[3]، أما البلاذري فلم يذكره إطلاقا، أما المعاملة القاسية فقد تكون من قبل وضع القصاص قصد إيجاد دوافع لعملية القضاء على عقبة ورفاقه ناهيك عن الغموض في القصة.

خلاصة شخصية عقبة تعكس العصر والبيئة التي عاش فيها؛ فهو مثل الصحابة والتابعين قوى الإيمان شديد الحرص على إعلاء كلمة الله ونشر دينه، شجاعا إلى حد الاستماتة، يتجشّم الصعاب برباطة جأش وعزيمة فولاذية، وكان مثل غيره من أبناء قريش فخورا معتزا بشرف نسبه وطموحا، عالي الهمة لا يتأخر عن طلب المجد، ويتطلع إلى المهام العالية، وكان أبيا لا يقبل الإهانة، ولا يرضى المذلة؛ فكان قدوة للفرسان المجاهدين وكان لاستشهاده الأثر العميق حيث أعطى نفسا جديدا لحركة الفتح.

2–عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين (487هـ–558هـ/1094م–1163م)[5]: يقول عنه الأستاذ حاجيات "تعددت المصادر التي أرخت لهذه الدولة وشخصياتها ومنها عبد المؤمن، ومن أهم هذه المصادر كتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي المشهور بال"البيدق" الذي احتوى على معلومات قيمة، لكن مثل غيره من الكتب المعاصرة متأثرة بالبيئة الاجتماعية والسياسية لما فيه من أخبار غير متصلة بالواقع التاريخي؛ فهي مجرد خيالات وأوهام شاع ذكرها عند القصاص كحكايات وأساطير، ومن ذلك لقاء ملالة وما لفّ حوله من أخبار وهذا بدافع:

– التحيز والحرص على إقناع القارئ بصحة دعوة الموحدين.

– شرعية حكم الإمام والخليفة.

– إدخال عنصر المنامات لبلوغ هذا الغرض.

ومن ذلك قول المهدي بن تومرت: "لا يقوم الأمر الذي فيه حياة إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين"[6]، ثم منام عبد المؤمن لصحفة من الطعام على ركبته يأكل منها الناس[7]، وما ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان حكاية النحل الذي نزل على عبد المؤمن وتفسيره بإجماع أهل المغرب على طاعته، وعبد الواحد المراكشي في المعجب وحكاية منام عبد

المؤمن.. إذن لقاء ملالة عليه الطابع الأسطوري بمبالغة المؤرخين وبخاصة منهم مؤرخي الموحدين.

ثم علق الأستاذ حاجيات قائلا: إنه لا ينبغي تعميم هذا الطابع الأسطوري على كل الأخبار الواردة بل يتعين على الباحث تصفيتها ووضعها في مسار التطور السياسي والحضاري، وقد قام المؤرخون الذين جاؤوا بعد سقوط دولة الموحدين بعملية التصفية، وعلى رأسهم ابن خلدون، إلا أنّ هذه التصفية لم تكن شاملة.

ثم يتناول الأستاذ حاجيات عبد المؤمن بن علي ودوره في تأسيس دولة الموحدين[8]؛ فيقول يحق لمنطقة تاجرة وهنين وتلمسان والجزائر الافتخار بهذه الشخصية ودورها في قيام دولة الموحدين، أعظم دولة في تاريخ المغرب الإسلامي.

وحتى نتبين جيدا بقول الأستاذ حاجيات من شخصية عبد المؤمن علينا:

- مراعاة الظروف الاجتماعية والبيئة التي نشأ فيها.
- مراعاة الأوضاع الدولية والعلاقات الخارجية حتى تكون النظرة متكاملة لتقييم وتقدير أي حركة سياسية.
- بترجيح الروايات ومنها رواية عبد الواحد المراكشي لخلوها من التنبؤات والتحيز.
- الاستعانة بالوصف المورفولوجي للشخصية لتحليلها، ومعرفة حقيقة خصالها وصفاتها، قوة الشخصية جاذبيتها، مؤهلاتها للمهام القيادية.(المنهج النفسي في دراسة الشخصية).

كل هذا مكّن عبد المؤمن بن علي من قيادة الدولة الموحدية وإرساء أسسها وبسط سلطانها من بلاد سوس جنوبا إلى الأندلس شمالا ومن المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد طرابلس شرقا .

3-شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي(9): يطرح الأستاذ حاجيات فيها ضرورة إعادة كتابة تاريخ الأمير عبد القادر ومقاومته لتصحيح مزاعم المؤرخين الأجانب التي تهدف إلى إرضاء الضمير الاستعماري بالسكوت عن وحشيته، ورغم المدح والتنويه بذكاء وخصال الأمير الحميدة فإنها كثيرا ما تلجأ إلى إغفال فضائح المحتل، وتفخيم انتصاراته لتتجاوز انتصارات الأمير، ومن ذلك بول أزان **paul Azan**[10] الذي كتب عن الأمير انطلاقا من تعصبه الديني إلى الوطنية الفرنسية، ويخلص الأستاذ حاجيات إلى أن الأمير ما كان متعصبا ولا أصبح وطنيا فرنسيا.

والكتابة عن الأمير بكل موضوعية تكون بالاعتماد على المصادر النزيهة، وتفسير مواقف الأمير يكون انطلاقا من إنتاجه الفكري، وتصوفه الذي مكنه من تقوية الجانب الروحي للتغلب على شهوات النفس، والجهاد ضد المحتل، والصبر على المشقة حتى في فترة اعتقاله، وهذا الاعتقاد لم يكن عند الأمير بمجرد تقليد إنما هو نابع من ثقافته الواسعة وتفكيره العميق، ومن هنا كانت مقاومة الأمير بجمع شمل الجزائريين والتصدي للعدو في إطار حركة شاملة وخطة واضحة بتنظيم سياسي وإداري و عسكري وثقافي واقتصادي واجتماعي.

كما ركز الأستاذ حاجيات على الجانب الأخلاقي عند الأمير عبد القادر الذي حرص على التحلي بالأخلاق الإسلامية لإظهار الصورة الحقيقية للمسلم مجاهدا وقائدا وأسيرا...، كالوفاء بالعهد انطلاقا من عهده على قيادة الجهاد لمن بايعوه، وصولا إلى الالتزام بالاتفاقيات مع العدو، وبالمقابل كان ابتعاد الأمير كل البعد عن الخصال الذميمة كما هو جليا في كتابه "المواقف"، ومن الأخلاق الأخرى التي لفتت انتباه المؤرخ حاجيات موقفه الشجاع في دمشق سنة 1860م، وتصديه لتعدي المسلمين على النصارى، ثم يحلل الأستاذ هذا الموقف ليوضح أن باعث هذا النهي عن المنكر واجب إسلامي، وليس ولاء لفرنسا حتى ردّ على من شكروه أنه لا يستحق ذلك، وإنما الشكر لله تعالى الذي وفقه إلى هذا الموقف.

إذن خلاصة الأستاذ في دراسته للأمير جاءت انطلاقا من إنتاجه الأدبي؛ فشِعْره مرآة صادقة لعواطفه وما صادف حياته من أفراح وأحزان وآلام و أشواق.

كما أن الأمير لم يكن متزمتا وإنما انفتح على حضارة الغرب دون أن يحيد عن أصالته الإسلامية كما هو واضح في كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"، كل هذا حتى نتفهم نفسية الأمير؛ فهو شخصية فذة ذات نبل وعلو همة، وفشل المقاومة لا تعود إلى تقاعد عن الجهاد أو خلل تنظيمي، وإنّما إلى تفاوت في القوة، وتشتت القوى الوطنية، وإحجام البعض عن نصرة الأمير؛ فكان الاستسلام رحمة بالشعب؛ فالأمير متضلع في مختلف العلوم ونابغ الذكاء؛ فهو حقيق بالإعجاب وجدير بالتقدير كبطل للمقاومة، رمز شخصية الدولة الجزائرية الحديثة والمعاصرة أولا وأديبا وعالما ثانيا، ولا غرابة أن يكون في مقدمة أبطال الإنسانية، ذلك هو الأمير من منظور الأستاذ الدكتور حاجيات عبد الحميد؛ فجزاه الله عنا وعن الجزائر والإسلام خير جزاء.

الهوامش:

1– السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات.

– مقابلة خاصة مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات في بيته بتاريخ :17–10–2011

2– محاضرة ألقاها في الملتقى الأول لحركة الفتوح الإسلامية بالمغرب الإسلامي المنعقدة بولاية بسكرة ما بين 24 و28 أفريل 1985 نقلا عن مجلة الدراسات التاريخية ،معهد التاريخ جامعة الجزائر العدد الأول سنة 1406–1986.

3– من المصادر الرئيسية التي كتبت عن عقبة بن نافع:

– ابن عبد الحكم "فتوح إفريقية والأندلس".

– الطبري "تاريخ الأمم والملوك".

– ابن الأثير "الكامل في التاريخ " " أسد الغابة في معرفة الصحابة".

– البلاذري " تاريخ فتوح البلدان".

– عبد الواحد المراكشي "المعجب في تلخيص أخبار المغرب".

– ابن عذاري المراكشي "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب".

– ابن خلدون "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر".

4– ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص59.

5– عبد الحميد حاجيات: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، الأصالة، العدد 64/1399–1978.

6– أبو بكر بن علي الصنهاجي،ت منتصف ق 6هـ كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، صص 37– 40.

7– عبد الحميد حاجيات: عبد المؤمن بن علي شخصيته ودوره في تأسيس دولة الموحدين، ملتقى وطني "هنين ماضيها وحاضرها "برعاية المجلس الشعبي الولائي تلمسان تحت الإشراف العلمي لجامعة وهران، وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تلمسان، فيفري 1985.

8– عبد الحميد حاجيات: شخصية الأمير عبد القادر من خلال إنتاجه الأدبي، الملتقى الوطني حول التعليم والعلماء في عصر الأمير عبد القادر، جامعة سيدي بلعباس، مؤسسة الأمير عبد القادر، سيدي بلعباس، 30–31 ماي 2001.

9– الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983.

10– من أشهر من كتب عن الأمير عبد القادر بول أزان PAUL Azan ومؤلفه الموسوم بـ:

"L'Emir Abdelkader du Fanatisme musulman au Patriotisme Français"